مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الرؤيةالصوفيّة لسيد حسين نصروحلوله لمشاكل الإنسان المعاصر

The Sufi Vision of Seyyed Hossein Nasr and His Solutions to the Problems of Contemporary Man

فؤاد قريمس* fouad Grimes

fouad.grimes@univ-tlemcen.dz

بن عيسى خيرة Benaissa Kheira

kheira.benaissa@univ-tlemcen.dz

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان/ مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها

DOI : 10.46315/1714-014-002-013

الإرسال: 05 / 01 / 2025 القبول: 14 / 03/ 2025 النشر: 16/ 06/ 2025

**

ملخص:

تتناول هذه الدّراسة موضوع التّصوف في فكر "سيد حسين نصر"، هذا الفيلسوف الذي اشتغل بالتصوف اشتغالاً حقيقيًا وأصيلاً في الأوساط الغربيّة والإسلاميّة، حيث سلطنا الضوء على تطور الصوفيّة عنده بدءًا من المشارب الصوفيّة الأولى وصولا إلى التحول الأكاديميّ الذي خاضه، كما قدمنا فهما متكاملاً للتصوف عند "سيد حسين نصر" الذي أظهر رؤية متميزة وفريدة، محاولاً بذلك تجاوز خطاب الكراهيّة والتعصب للدّين في دراسته للمجتمع المعاصر، لنتوصل إلى الحلول التي اقترحها لمشاكل الأزمات الروحيّة التي يعيشها الإنسان المعاصر في ظل عبث الحداثة بأساسيات وجوده الحقيقيّ، وذلك من خلال إعادة إحياء وتجديد الفكر الصوفيّ التقليديّ والتّأسيس لرؤيّة كونيّة جديدة للعالم. وختمنا دراستنا بجملة من النتائج والاستنتاجات.

كلمات مفتاحية: سيد حسين نصر؛ التصوف؛ الحداثة؛ الأزمات الروحيّة؛ الإنسان المعاصر.

Abstract:

This study addresses the topic of Sufism in the thought of "Seyyed Hossein Nasr," a philosopher who has engaged with Sufism in a genuine and original manner within both Western and Islamic contexts. We highlighted the evolution of Sufism in his work, starting from the early Sufi influences to the academic transformation he underwent. We provided a comprehensive understanding of Sufism according to "Seyyed Hossein Nasr," who demonstrated a distinctive and unique perspective, attempting to transcend the discourse of hatred and religious intolerance in his study of contemporary society. We arrived at the solutions he proposed for the spiritual crises faced by modern humans amid the chaos of modernity regarding the fundamentals of their true existence, through the revival and renewal of traditional Sufi thought and the establishment of a new universal vision for the world. We concluded our study with a series of findings and conclusions.

Keywords: Seyyed Hossein Nasr; Sufism; modernity; spiritual crises; contemporary human.

**

* - فؤاد قريمس: fouad.grimes@univ-tlemcen.dz

1- مقدمة (Introduction):

يواجه الإنسان المعاصر تحدّيات ومشكلات تهدّد سعادته وتنذر بالفوضى في مختلف جوانب الحياة. هذا يعني زيادة في الصّراعات وتفاقم الظلم والجور. حيث يبحث الجميع عن مأوى آمن لسفينة البشريّة يوفّر استقرارًا وسعادة، ويحقّق مقاصد الشريعة على مستوى الفرد والمجتمع، ومع انعدام البعد الروحيّ، تظهر أصوات تنادي بتنقيّة النفوس على الصعيدين الفرديّ والجماعي، وتعزيز التزام الناس بقيم ساميّة. ويُرى أن تحقيق هذا التوازن يعتبر دواءً فعّالًا للتصديّ للمشكلات الحاليّة، وفي هذا السياق، يمثل التصوّف ثورة روحيّة تسهم في إعادة ترتيب هذا الواقع المتردّي؛ حيث اتجه العديد من الباحثين والمفكرين والقراء في الأطوار المستحدثة من حقل الدّراسات والبحوث إلى الاهتمام بالتّصوف محاولين سبر أغواره والكشف عن حقائقه الروحيّة، لتجريده من رواسب المغالطات الفكريّة التي لحقت به، وتجاوز الأزمة الروحيّة التي يعيشها الإنسان المعاصر اليوم.

ويعدُّ "**سيد حسين نصر seyyed hossein nasr (1933م)**" من بين هؤلاء الذين حاولوا إعادة بناء وبعث رؤية صوفيّة جديدة مبنيّة على التقليد، رؤية فتحت أبواب التجربة الصّوفيّة عنده، كيف لا وهو الذي نادى بضرورة التصالح مع الآخر المختلف في فكره ومنهجه ودينه، تماما كما كان اتجاه الفكر الصوفيّ الإسلاميّ التقليديّ المبنيّ على العودة إلى الروح الصوفيّة المقدّسة، التي تعمل على تجنب الصّدام الحاصل بين الأديان ونشر فكرة الحوار والتعدديّة الدينيّة في مواجهة الحداثة الغربيّة والعمل على نقد فكرة مركزيّة الإنسان للعالم في الغرب.

2- أهميّة الدراسة:

تكمن أهميّة هذه الدّراسة في استطلاع فكر الباحث "**سيد حسين نصر**"، الذي يعدّ من أبرز الفلاسفة المعاصرين في المجال الدّيني والصوفيّ على مستوى العالم، حيث أسهم بشكل كبير في خلق رؤيّة جديدة للإسلام من خلال محاولة بعث رؤية دينيّة مبنيّة على العودة إلى التّصوف التقليديّ، وهذا ما سنحاول عرضه من خلال هذه الدراسة الموسومة ب: **"الرؤية الصوفيّة لسيد حسين نصر وحلوله لمشاكل الإنسان المعاصر"** الوقوف عند تجربته الروحيّة وملامح الفكر الصوفيّ عنده، بالإضافة إلى دور التّصوف عند "سيد حسين نصر" في مواجهة القضايا الكبرى التي يواجهها الإنسان المعاصر كقضيّة (الحداثة الغربيّة والأزمة الروحيّة للبيئة).

في ظل التحديات التي يواجهها الإنسان المعاصر، مثل الاغتراب الروحي، هيمنة النزعة المادية، وتفاقم الأزمات البيئية والاجتماعية، تبرز الحاجة إلى رؤى فلسفية وروحية تعيد التوازن المفقود بين البُعدين المادي والروحي. ومن بين الرؤى الفلسفية التي حاولت تقديم رؤية نقدية وصوفية بديلة عن الرؤية الحداثية للعالم، نجد رؤية السيد حسين نصر التي تتسم بعمق روحاني وتتوجه

بخطاب يتحدث عن الانسان الكامل، محاولا بذلك الوصول لحل فعال لهذه المشكلات، وبناءً على ماسبق يمكن طرح اشكال رئيس مفاده: كيف يمكن للتصوف أن يُسهم في معالجة الأزمات الوجودية للإنسان الحديث واستعادة العلاقة المتوازنة مع ذاته، مجتمعه، والطبيعة عند سيد حسين نصر؟ أو بصيغة أخرى: ما مضمون الخطاب الصوفي الذي أراد "سيد حسين نصر" من خلاله أن يعالج أزمات الخطاب الحداثي؟ وكيف يمكن لهذا الخطاب أن يلبي حاجة الإنسان المعاصر الروحية؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية الرئيسة عدة تساؤلات فرعية، أبرزها:

- ماهي المشارب الصوفيّة التي ارتوى منها "سيد حسين نصر" وبني من خلالها فكرته الكليّة عن التصوف؟
- إلى أي مدى يمكن أن يكون التّصوف حلاً فعالًا لتحديّات المجتمع المعاصر؟
- هل تعتبر الرؤيّة الصوفيّة عند "سيد حسين نصر" نموذجاً ناجحًا لحلول مشاكل الإنسان المعاصر؟
- كيف ساهم سيد حسين نصر في معالجة بعض المسائل التي تساعد على فهم حقيقة الطبيعة وروحانيتها؟
- ما دور الخطاب الصوفي في تعزيز السلام الداخلي والسلام الاجتماعي، وكيف يسهم في التفاعل بين الأديان والثقافات المختلفة؟

3- البدايات والمشارب الصوفيّة الأولى "لسيد حسين نصر ":

يُعَدّ سيد حسين نصر " فيلسوفًا ونموذجًا نادرًا في مقارنة الأديان والصوفيّة، حيث عَمِلَ بجدّ على استعادة الفلسفة التقليديّة لتواجه التحديات المتزايدة مع تقدم الحداثة الغربيّة؛ يرى أنّ الحداثة الغربيّة أهملت الإنسان ولم تحترم كرامته، وبالتالي سعى لتقديم رؤيّة إسلاميّة تقليديّة تستند إلى القيم الروحيّة والدينيّة، بهدف إعادة إحياء كرامة الإنسان وتجديد وجوده الحقيقي. يسعى "سيد نصر" لبناء وجود يستند إلى الوعي المطلق والقيم الثابتة، مع رؤية متجددة للحياة تتغلغل فيها القيم المقدسة من كل جانب .

و يعود اهتمام "سيد حسين نصر" بالتّصوف إلى المراحل الأولى من حياته، حيث تربى وترعرع في وسط أسرة اهتمت بالثقافة الروحيّة والصوفيّة وتوارثتها أبا عن جد، يقول: "الذكرى الثانيّة في طفولتي هي الجمع بين التقوى والاهتمام بالصوفيّة، فقد كان والدي ووالده وجده ينتمون إلى التقاليد الصوفية ويتبنون فكر التسامح"**(nasre, s ,2010 , p37)**، لقد كانت عائلته محافظة لعاداتها وتقاليدها وقيمها، كما كانت مشبعة بالثقافة الإيرانية والروحية، عائلة جمعت بين الطب

والتصوف والفلسفة والفن، "ذات ثقافة عالية، فقد ضمن عائلته فنانين وشعراء وأطباء كما كانت عائلة جده مرتبطة بالصوفيّة لعدة أجيال، فقد تربو على الدين والعلم والثقافة وقد كان أحد أجداد جده صوفيا، يدعى: **مولاي سيد محمد تاغي moulay sayeed mohamed taghi**، ولد والده في كاشان وقد كان على اتصال بشيوخ الصوفيّة، كالصوفي الكبير **(صفي عليشة safi alisha ق 19 وخليفته صفاء علي شاه safaa ali shah)**" **(نصر، س، 2016، ص 9-10)**، كما تم ايلاء قدر كبير من العناية لتعليمه في المجال الديني والثقافي باستمرار وكان الشعر مهما جدا في ذلك الوقت.

فقد تربى سيد حسين نصر على الشعر الفارسيّ وتعلم التاريخ والدين منذ الصغر، وحفظ قصائد**"أبو القاسم الفردوسي الطوسي abu l-Qasem ferdowsi tusi (935-1020م) و"نظامي Nizami (1141-1209م)"و"سعدي الشيرازي saadi hirazi (606-585 ه) "و"مولاي محمد حافظ الشيرازي Mohamma Hafez-e Chirazi (725_792ه)"**، كما تربى في حضن الطبيعة وعاش حياة التأمل منذ أن كان صغيرا وقد استمر هذا معه طول حياته**(نصر، س، 2016، ص14)**، وكان بيته ملتقى للعديد من الساسة والعلماء ورجال التصوف يقول: "كما أن بعض أساتذة الفلسفة التقليديّة والصوفيّة والتصوف، كانوا يأتون ويذهبون إلى منزلنا مثل: **(سيد محمد كاظم العصار Sayeed Muhammad Kazem Al-Assar)** ، هادي حاري الذي علمني الكثير عن التصوف والصوفية،..كان لوجودي في مثل هذه البيئة تأثيرا عميقا علي، وأنا في سن العاشرة لقد رأيت العديد من الباحثين الإيرانيين في ذلك الوقت، واستمعت إليهم والى نقاشاتهم، التي كان يغلب عليها مستوى فلسفي عال للغاية مناقشات حول الشك واليقين، والتقاليد والحداثة والنظرة العلميّة والدينيّة للعالم"**(نصر، س، 2016، ص16)**.

إنّ القيم المزروعة بداخل "سيد حسين نصر" لم تمت عند مغادرته إيران وسفره إلى أمريكا بل كان يزيد تمسكه بالقيم الروحيّة كلما زاد فكره وتوسع من خلال قراءاته وعودته إلى النصوص الكلاسيكية الإسلامية يقول: "من خلال كل التقلبات الثقافية والفكرية التي عشتها في حياتي لطالما أحببت الله، وأول ذكرى لدي عن طفولتي هي محبة الله، وقد استمرت حتى الآن لم تتوقف هذه العلاقة أبدا ولم أمر بفترة من الشك الديني كما فعل الكثير من الناس، بما في ذلك القديس أوغسطين".

4- **الرؤية الصوفيّة عند "سيد حسين نصر":**

التصوف عند "سيد حسين نصر" يمثل تفكيرًا عميقًا في الطريقة التي يمكن من خلالها تحقيق التوازن الروحي والدنيوي. يعتمد "حسين سيد نصر" في فهمه للتصوف على فلسفة السلوك والتأمل، حيث يؤمن بأن السعادة الحقيقية تأتي من تحقيق التوازن بين الروح والجسد والعقل

يبرز التصوف عنده كوسيلة لتحقيق الوعي العميق والتأمل في جوانب الذات الداخليّة، مما يؤدي إلى تحقيق التناغم مع العالم الخارجيّ والإحساس بالسلام الداخليّ.

يرى "سيد حسين نصر" "أنه لا يمكن أن نتحدث عن الصوفيّة وكأنها أحد الأديان المتكاملة على غرار الهندوسيّة أو البوذيّة، ذلك أنها جزء لا يتجزأ من الإسلام وليست دينًا مستقلًا، ويجري حديثنا عنه كدين مثلما نتحدث عن المسيحيّة والبوذيّة، أما التصوف فلا بد أن يفهم كبعد من التراث الإسلاميّ، وهذه المسألة الواضحة لا تحتاج اصطناعا رغم أن بعض دوائر الصوفيّة" **(عون، ف، 1983، ص58)**، تفصلها عن سياقها الإسلاميّ لغرض في نفسها ثم تجادل فيها كما لو كانت في زمرة الأديان الشرقيّة أو الغربيّة الأخرى " **(نصر، س، 2019، ص90)**، وحسب "سيد حسين نصر" لا يمكن ربط التصوف هنا بالمعتقدات القديمة للعالم، كما أنه لا يمكننا فصله عن الدين الإسلامي، وهو مرتبط به ارتباطًا وثيقًا، لا يمكن أن يكون له وجود خارج الفضاء الكلي للإسلام.

التصوف عند "سيد حسين نصر" "طريق للتحقيق الروحاني وبلوغ مقام الولاية والعرفان، والجانب الجوهريّ من الوحيّ الإسلاميّ، وهو في الواقع قلبه أو بعده الداخلي أو الباطني، ومع أن لفظة التصوف جاءت متأخرة واستمدت بعض أشكالها من المبادئ الأفلاطونية والهرمسة، إلا أن حقيقة التصوف وعقائده ومناهجه الأساسيّة ترجع إلى مصدر الوحي وترتبط ارتباطا وثيقا بروح الإسلام وصورته، كما يردان في القرآن الكريم، الذي يعتبر التجسيد الأكمل له، أن الصوفي الأول والأكمل في عرف من يندمج في التصوف ويعيش حياة "سالك الطريقة" هو النبي محمد، ومن بعده علي بن أبي طالب الممثل الأعلى للباطنية الإسلامية" **(نصر، س،1971، ص113)**. وفقًا لـ "سيد حسين نصر"، التصوف لا يمكن فصله عن النبوة، إذ أعطى الرسول أورادًا للصحابة في الغار المبارك، مما شكل بداية جماليّة التصوف وروحانيته. بعد ذلك، انتشرت النورانيّة الإلهيّة في كل مكان، مُظهرة أسرارها الكونيّة ومسالكها العرفانيّة المتنوعة.

إذن التصوف عند "حسين نصر" تصوف باطني مرتبط بالجوهر الداخليّ للإسلام وجوهر قلبه ومادة النور الإلهي، "هو الجانب الباطني لتعاليم الرسول. إذ اخذ شكلاً واضحًا بالتدريج في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مكتسبا في الوقت نفسه اسم الصوفيّة، الذي عرف به البعد الباطني للإسلام منذ ذلك الحين"**(نصر، س،1971، ص114)** ، فالتصوف يمثل فرعًا أساسيًا في الدين الإسلامي يركز على الجانب الروحي والباطني للإيمان والعبادة.

يهدف التصوف إلى تحقيق التواصل والتقرب من الله، "ويسعى إلى التقرب من الله والوصول إلى حالة من الاستقرار الروحي والتحرر من الشهوات الدنيوية. ومن المعتقدات الأساسية في التصوف

أن الإنسان يمكنه الوصول إلى معرفة الله من خلال التأمل والتفكر في الخلق والعبادة، ويمكن للإنسان أن يتحول إلى وجود أكثر تطهيرًا وتوحيدًا مع الله"**(محمدي، م، 2010،ص288)**، من خلال هذا، يظهر لنا أن "حسين نصر" يعتمد المدخل الباطني والرمزي إلى الدين، إذ تنطلق نظرته إلى الدين من هذه الزاوية العرفانيّة..

وإرتباط التصوف بالباطن موضوع سبق طرحه، حيث ينقسم العلم في العقيدة الإسلاميّة إلى علم الظاهر وعلم الباطن. يمكن العثور على هذه الفكرة بالتفصيل في كتاب "اللمع في التصوف" "**أبو نصر عبد الله السراج الطوسيAbū-Naṣr ʿAbdallāh Ibn-ʿAlī as-Sarrāğ (توفي 378 هـ / 988 م)** " هو زاهد كان شيخ الصوفية، على طريقة السنة. ملقب بطاووس الفقراء، الذي أوضح بالتفصيل إثبات علم الباطن، "أن علم الشريعة واحد، وهو اسم واحد يجمع معنيين: الرواية والدراية، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعيّة إلى الأعمال: الظاهرة والباطنة *يرجع العديد من العلماء والصوفية ،أن التقسيم بين علم الظاهر وعلم الباطن كانت بدايته شيعية، "أما الفكرة الأخرى التي تسربت إلى التصوف من التشيع، واعتنقها الصوفية بتمامها هي فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن والعام والخاص، ومنها تدرجت وتطرقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي، وتفريق المسلمين بين العامة والخاصة، فان الشيعة بجميع فرقها وخاصة الإسماعيلية منهم، يعتقدون انه لكل ظاهر باطنا، وقد اختص بمعرفة الباطن علي رضي الله عنه، وأولاده أئمتهم المعصومين حسب زعمهم، فسمو الموالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين لهم بهذه الفكرة بالعامة"**(ظهير، إ، 1986، ص243)**، حيث تمثل الرواية الجانب الظاهر والمباشر من الشريعة، في حين تمثل الدراية الجانب الباطن أو العميق والمجازي لها. عندما يتم دمج هذين الجانبين معًا، ينشأ علم الشريعة الذي يشجع على الأعمال الظاهرة والباطنة، مما يعني التركيز على تطبيق الشريعة عملياً وفهمها بعمق وتفصيل. "والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة، وهي العبادات والأحكام...وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال"**(الطوسي، أ، 1960،ص 43)**.

عبر هذا يتضح لنا أنه لكي نفهم التصوف لابد لنا من فهم علاقة الظاهر بالباطن وعلاقة الباطن بباطن الباطن. يقول "سيد حسين نصر": "إنّ التصوف هو البعد الباطني في الإسلام، وهو فوق الاختلافات الموجودة في الشريعة"**(نصر، س، 2009، ص 72)**، ويشير هنا إلى الاختلافات المذهبيّة بين السنة والشيعة في الإسلام خلال القرن الأول للهجرة. ويؤكد على دور التصوف في التقريب بين الطوائف وتجنب الصّراعات، إذ يعتبر التصوف وسيلة للحفاظ على القيم الإسلاميّة والأخلاق. يؤكد أيضًا على أن البعد الباطني الجواني يسهم في التجديد المستمر والتمسك بوحدة الإسلام. التصوف يعتبر وسيلة للوصول إلى الله، وهو شكل من أشكال الوحي الإسلامي، يهدف إلى تحسين الحال الروحيّة والتوجه نحو الفضائل.

بناءً على ما سبق، يتضح لنا أن التصوف عند "**سيد حسين نصر**" لا يُعتبر جزءًا مُنفصلًا عن الإسلام، بل هو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتراث الإسلامي، ولم يكن يوماً مرتبطاً بالمعتقدات القديمة للعالم. ويعدّ **النبيّ** هو الصوفي الأول والأكمل، حيث قدّم الطريقة للصحابة وأعطى الجوانب الباطنيّة لعلي، أب الصوفيّة الباطنيّة.

وفي هذا السياق يبرز "حسين سيد نصر" كشخصية مؤثرة في تعزيز الرؤيّة الصوفيّة كبديل للرؤيّة الحداثيّة في المجتمع المعاصر، فهو يسعى إلى تعزيز الوعي الروحي والتسامح والتفاهم المتبادل كأساس لبناء مجتمع مترابط ومزدهر، وبفضل رؤاه العميقة يعتبر "حسين سيد نصر" شخصيّة مهمة في تحفيز التفكير وتعزيز الوعي الروحي في المجتمع الحديث، محاولا بذلك تقديم الحل الصوفيّ لمشاكل الإنسان المعاصر.

5- الحل الصوفيّ لمشاكل المجتمع المعاصر:

يواجه المجتمع المعاصر أزمة وجودية تتجلى في هيمنة المادة واغتراب الإنسان عن البعد الروحي. يرى سيد حسين نصر أن الحل لا يكمن في الإصلاحات السطحية، بل في استعادة التوازن بين الروح والمادة عبر التصوف، باعتباره مسارًا يعيد وصل الإنسان بالمقدس. فالتصوف، عنده، ليس انعزالًا بل رؤية متكاملة تعيد بناء العلاقة بين الإنسان والعالم على أسس الحكمة والمعرفة الروحية.

5-1 الرؤية الصوفيّة كبديل للرؤية الحداثية:

" وضاع الرب من الإنسان في ظلال النسيان عندما اعتبر نفسه
مركزا للمشهد الإنساني وادعى لنفسه كل الحقوق"(نصر، س، 2019، ص21)

لقد طرح "**سيد حسين نصر**" سؤالا مهما في كتابه فردوس الحق (هل يستطيع المعاصرون الاستفادة من التراث الصوفي) (كيف يستطيع المرء في عالم كهذا الاستفادة من الإرث الصوفي الذي خاطب عبر ملايين السنين رجالا ونساء بشكل يختلف عنا؟). في رحلة الإنسان نحو إيجاد معنى لحياته والوصول إلى الحقيقة النبيلة، يتعرض لصراعات فكريّة معقدة في عالم مسيطر عليه العلم الحديث والعقلانيّة السطحيّة. هذا الصّراع يتجلى في وجود الفراغ الأخلاقيّ والروحيّ في المجتمع، حيث يغلب استعراض الذات والتركيز على اللذة والمادة. ونتيجة لذلك، تصبح القيم الروحيّة والإنسانيّة غائبة، مما يعكسه الانغماس في ثقافة اللاإنسانيّة والأنانيّة.

يقول "**سيد حسين نصر**": "لقد كانت إحدى نتائج فقدان علم الإلهيات في العالم الحديث نمو مفهوم التقدم الإنساني اللامحدود اعتمادا على التطور المادي، وهو مفهوم كاد أن يعبد طوال قرنين من الزمان كدين زائف" **(نصر، س، 2017، ص207)**، لقد حاولت الحداثة الغربية تشويه

الدين والقيم، بحيث انعكست مبادئها على الإنسان ونسفت كل قيمه الدينية وجوانبه الروحية، وأخذت به إلى غياهب العدمية وسياجاتها، وألقت به في أوهام العزلة والاغتراب، وأصبحت ثنائية (العقل والعلم) أداة حادة فصلت القيمة عن الإنسان، ووجهت نظره من السماء إلى الأرض، ففقدت السماء مركزيتها وأصبح الإنسان هو المركز، من خلال هذه الرؤية المادية للعالم التي أنزلت من قيمة الإنسان وجعلته يعيش خواء ذاتيا ومعرفيًا وإنسانيًا.

يحاول "**سيد حسين نصر**" إعادة القيمة الحقيقة للوجود، من خلال بعث روح عرفانيّة ودينيّة للطبيعة وللإنسان، بحيث يرى أنه تتجلى مأساتان في هذه الساعة المتأخرة من تاريخ الإنسان إحداهما في الغرب والأخرى في الشرق.

تتمثل مأساة الغرب غالبًا في الانهيار الاجتماعي والأزمات البيئية، والحلول المقترحة تتضمن التركيز على العوامل التي أدت إلى هذه الحالة في البداية، "يطالب الناس بكبت مشاعرهم وإعمال عقلانيتهم واعتبار جيرتهم الإنسانية واللاإنسانية، ولكن قليلا من يدرك أن هذه التعاليم مستحيلة التنفيذ مادام لم توجد قوة روحية تكبت الميول الجهنمية العارمة في نفس الإنسان" **(نصر، س، 2019، ص36)** ومع ذلك، يدرك قليلون أن تنفيذ هذه التعاليم يصعب ما لم تتوفر قوة روحيّة تهيمن على الاندفاعات الشريرة في الإنسان.

يتجسّد دور العالم الإسلامي كممثل رئيسي يواجه تحديات تنموية متعددة في ساحة التحولات الحضارية العالمية، تبرز واحدة من هذه التحديات في تجربة بناء المجتمعات الحضارية، حيث أدى الإقتباس الأعمى لنماذج الغرب إلى فقدان القدرة على فهم التجارب والتحولات بشكل واقعي، مما نتج عنه إرتكاب أخطاء تمنع التقدم، "في حين أن المأساة الثانيّة التي تجري في الشرق عمومًا وفي العالم الإسلاميّ خصوصًا هي أن هذا العالم قد طفق على تكرار أغاليط الغرب في إنشاء مجتمع حضري صناعي وتبني الحضارة الحديثة التي أنتجته، في حين كان يجب على الشرق أن يتخذ الغرب دراسة حالة لا أن يقلد نموذجه تقليدا أعمى، وتغطي المأساة الأولى على الثانية بطبيعة الحال، فالأعمال التي تجري في العالم المحدث المصنع هي التي تؤثر مباشرة على باقي الكوكب"**(نصر، س، 2019، ص38)**.

إنّ الإنسان المسلم المعاصر حسب "سيد حسين نصر" يعيش أيضا في محنة كبيرة تحت وطأة الحداثة من جميع النواحي الفكريّة والتعليميّة والفنيّة والعمرانيّة، فقد أصبح العالم الإسلامي يهدده خطر اللاتجانس والفوضى والانسلاخ عن الذات، وحتى في المجال الاقتصادي والسياسي أصبحنا نرى تناقضًا واضحًا وفاضحًا مع المفاهيم الإسلاميّة يقول: "عندما نستدير نحو المسلم المعاصر كما يجد نفسه في العالم اليوم، نكتشف أنه في موقف يواجه فيه عديدا من المشكلات رغم أنها لا تضاهي مشاكل الإنسان الغربي، فهو حال من يضع إيمانه في أقصى امتحان ممكن،

ونرى في العالم الإسلامي طيفا يتراوح بين العنصر التراثي النقي وبين من وقع بين تناقض التراث والحداثة"**(نصر، س، 2019، ص40)**.

يرى "سيد حسين نصر" أن هناك العديد من الشرقيين الذين تأثروا بالحداثة الغربية، مما قد يؤدي في المستقبل إلى فقدان الشرق لبصيرته وروحانيته. لذلك، يدعو إلى استخدام منهج الدراسة المقارنة في العالم الإسلامي، لتفصيل التراث الروحي والفكري الإسلامي للإنسان الغربي، ويُعتبر هذا النهج الأنسب لمساعدة الأشخاص الذين حصلوا على تعليم غربي حديث، وتوجيه نسق أفكارهم وسلوكياتهم بطريقة تحافظ على الهوية الشرقية وتجنب الانحراف نحو العناصر الغربية في الثقافة والتاريخ.

فالباحث الشرقي في الوقت الحاضر بحاجة ماسة إلى استخدام (منهج المقارنة)، للدفاع عن التراث الفكري والروحي الإسلامي، وللكشف عن الجوانب المنسيّة والمغيبة في التراث الإسلامي، بالإضافة إلى تسليط الضوء على التناقضات بين التعاليم الصوفيّة والمدارس الفكريّة والتيارات الحاليّة في الفكر الغربي. هذا النهج يمكّن يساعد على دراسة الجوانب العمليّة لتحقيق المعرفة والروحانية، التي تحتوي عليها التعاليم الصوفيّة، وذلك في إطار تطلعات الإنسان المعاصر.

وبالعودة إلى المأساة الغربيّة فإن "سيد حسين نصر" يدعو إلى استعادة المركزية من الإنسان وإعادتها للسماء، وبعث رؤية جديدة للعالم مبنيّة على قيم روحيّة وعرفانيّة أساسها الأول والآخير هو التصوف، الذي يعتبر أهم عنصر في فلسفة "**سيد حسين نصر**" بحيث يبنى من خلاله تقريبًا جل أفكاره ويعتبره الركيزة الأساسيّة في رؤيته للعالم، يقول: ".. التصوف قمة الإسلام وجوهره الجواني، والذي اجتذب معظم الذين سعوا إليه من الخارج لاحتياجهم إلى استعادة مركزهم بالخضوع لرسالته المركزية في صورتها الإسلامية، وقد كان الإقبال المدهش على دراسة التصوف في الغرب نتيجة تنامي الحاجة الروحية التي يشعر بها كثير من الناس اليوم وبفضل الخصائص التي تتميز بها الصوفية اليوم كبعد جواني للتراث الإسلامي"**(نصر، س، 2019، ص88)**.

لقد عمل التصوف على جعل الإنسان يترك المفاهيم الرياضيّة الدقيقة ويتوجه نحو العلاقة البينية مع الله، فالتصوف حسب "سيد حسين نصر" هو مفتاح التواصل بين كل البشرية إذ يدعو إلى التواصل والحوار ونشر قيم التسامح والمحبة، فالتصوف في النهاية هو منهج تربوي متكامل يجمع بين القيم الروحيّة والحضاريّة والمعرفيّة والمجتمعيّة. يقول "سيد حسين نصر": "أن الأرض اليوم تهتز تحت أقدام الذين ظنوا أنهم يقفون على حافة الأرض دون أن يحتاجوا للسماء، لذلك فإن رؤوسًا كثيرة اليوم تشرئب اليوم إلى السماء وهذا رد طبيعي إنساني، أن كثرة أوثان

الجهل لهذا العصر الجديد تقدم للدين فرصة ذهبيّة كي يظهر من جديد"**(عكاش ونصر، 2009، ص11)**.

بناءً على ما سبق تتضح لنا رؤية "سيد حسين نصر" بأن الصوفيّة تمثل الحل المثالي لمجموعة متنوعة من مشاكل العصر، حيث تعلمنا كيف نجد السعادة في الوحدة مع الله، كما أنها قادرة على تحويل حالات اليأس إلى فرح، وتعلمنا كيف ننظر إلى الآخر كما ننظر إلى أنفسنا، وليس كعدو. بفضل تعاليمها، نجحت الصوفيّة في هدم جدران الانفصال بيننا وبين الآخرين، وأدركنا أن الآخر هو جزء منا بالمعنى العميق، وبالإضافة إلى ذلك تساعد الصوفيةّ في تغذية الروحانية وتوجيهنا نحو محبة الله وخلقه، مما يسهم في تحقيق الوضوح العقلي وتوحيد طرق المعرفة في العالم. وبهذا، يعود الدين مرة أخرى إلى نظام الطبيعة، حيث ينبع الحق والعدل والتعاطف، وحيث يتحقق السلام والتوازن الذي يحتاجه العالم بشدة في زمننا الحالي.

2-5 التصوف كعلاج للأزمة الروحيّة للطبيعة:

"لا يمكن للدين إلا أن يعود مرة أخرى إلى نظام الطبيعة هو صوت الحكمة والحب الذي ما يزال يتحدث بصمت، هو وحده برحمته من ينقذنا منا نحن، ينقذنا من جهلنا المتغطرس، الذي يهدد حياتنا كاملة .." (nasre, s, 1996, p191)

الإنسان المعاصر يواجه تحديات مزدوجة، إذ يحتاج بشدة إلى إعادة تقييم علاقته بالطبيعة واكتساب رؤية جديدة تمكّنه من البقاء جسديًا، وفي الوقت نفسه يحتاج إلى فهم أعمق للأديان الأخرى ليدرك ذاته بشكل أفضل ويحقق معرفة أوسع بحياته. وفي هذا السياق، يلعب الطريق الصوفي في الإسلام دورًا مهمًا في مساعدته على تحقيق هذه الأهداف.

وفقًا لـ"سيد حسين نصر"، يرفض الحداثيون وأنصار العلم الحديث الرؤية الروحيّة، حيث يرون العلم الحديث كفلسفة شموليّة تختزل حقائق الكون في النطاق العضوي، مما يمنع الالتفات إلى الأسباب الباطنة لأزمة البيئة، فقد حاول "سيد حسين نصر": "إعادة القداسة إلى الطبيعة من خلال العودة إلى جذور هذه الأزمة التي ترتبط بأبعاد روحيّة دينيّة وفلسفيّة، فالدين والفلسفات المبنيّة عليه فقط من تعيد القداسة الحقيقيّة للطبيعة**(توحيدنيا، وآخ، 2018، ص101)**. فهو من المفكرين الذين يؤمنون بالدور المهم والفعال للدين في حل الأزمة البيئيّة، بحيث يعتقد أن هذه الأزمة روحيّة خالصة، والحل الذي يمكن أن يكون أكثر فاعليّة يكمن داخل الجوهر الروحيّ للدين.

"سيد حسين نصر" من بين الذين ينتقدون الرؤية المادية والعلمانيّة اتجاه الطبيعة، لان هذه الرؤيّة تسببت في تدهور الطبيعة وكانت وراء تفاقم وتزايد الأزمات البيئية، وذلك بإزاحة الروحانيّة من الطبيعة والنظر إليها كأداة لتلبية احتياجات الإنسان فقط، ومن خلال هذا دخل "حسين سيد نصر" في صراع مع الحداثيين الذين ينظرون إلى الطبيعة بنظرة استغلالية وبرغماتيّة، تقوم على مركزية الإنسان وسلطته على الطبيعة.

إن الإنسان الحديث حسب "حسين سيد نصر" "يواجه أزمة لا سابق لها من صنعه، وتهدد حاليا كوكب الأرض برمته، ولكنه لا يزال رافضا للأسباب الحقيقيّة للأزمة، فنحن في الزمن الذي دُمرت فيه حقوق الإنسان، ولوث فيه البترول صفحة البحار بحجة احتياجات الإنسان، وقد ادعى هذا الإنسان المطلقيّة وحكمت حقوقه حقوق الرب وحقوق خلقه معا".**(نصر، س، 2019، ص11)**، وفي هذا السياق يقول "ادغار موران": " لقد بدأت أزمة الحداثة في الظهور منذ أن صار الاستشكال الناشئ عن الحداثة والمنقلب على الله وعلى الطبيعة وعلى الخارج ينقلب على الحداثة نفسها، والتقنيّة تؤدي إلى الأسوء كما تؤدي إلى الأفضل، فهي تقدرنا على التحكم في الطاقات الفيزيائيّة، كما تقدرنا على التحكم في الطاقات البشرية"**(موران، أ، 2012، ص26)**، كلما حاول الإنسان بسط سيطرته على الطبيعة بشكل غير مبرر وعشوائي، كلما فقد أكثر أحاسيسه وروحانيته المقدسة، وبالتالي يسقط في شباك اللذة ويدخل في بوتقة اللاإنسانية، ويوجه نظره إلى المادية التي تصبح تلك الرؤية الوجودية التي يقدسها، لقد تم تدمير الطبيعة المقدسة من طرف الإنسان الحديث الذي يهيمن عليه منظور علماني هو المسؤول الأول عن هذه الكارثة.

وإقتناعًا من "سيد حسين نصر" بأن الأزمة البيئية تعود للنموذج الحداثي، "يقترح رؤية بديلة للعالم تستند إلى الميتافيزيقا الدينية "التقليدية"، تفتح أبوابها عن طريق ثلاثة مفاتيح أساسية للدين:

1_ مفتاح المعارف التقليدية

2_ مفتاح الأخلاق البيئية الدينية

3_ مفتاح التدريب الروحي والطقوس"**(nasre, s , 2009 , p35)**.

وضمن التقاليد الدينيّة الرئيسيّة، يتجلى هذا الفهم العميق الذي يساعدنا على فهم العلاقة بين الدين ونظام الطبيعة، وأهمية الأبعاد الأخلاقية الدينية ضمن سياق الحفاظ على البيئة. ومن المؤسف أن بعض أنصار الحداثة لم يدركوا تمامًا هذه العلاقة، حيث يعتبرون التحيز العملي القوي ضد الأخلاق الدينية عائقًا كبيرًا أمام حلول الأزمات البيئية. "يبدو أن معظم المثقفين الغربيين يفكرون في القضايا البيئية، كما لو كان الجميع ملحدا يتبع فلسفة علمانية نشأت في أكسفورد أو كامبردج أو هارفارد ، ولذا فهم يسعون إلى تطوير أخلاقيات بيئية عقلانية قائمة على اللاأدرية، كما لو كان لهذا أي تأثير كبير مهما كان على الطبيعة "**(chittick, w, 2007, p30)**.

تتمحور أخلاقيات البيئة عند "سيد حسين نصر"حول الله بحيث لا يمكن للمعرفة والأخلاق أن يكتملا دون مفتاح الروح، وهذا المفتاح مرتبط بالعرفان، يهدف "سيد حسين نصر" إلى إعادة تأسيس الجودة المقدسة للكون من خلال إعادة اكتشاف أو إعادة النظر في الوجهات التقليدية الدينية، التي تعزز الوعي الميتافيزيقي للأهمية الروحية للطبيعة، واكتشاف هذه النظرة المقدسة للطبيعة لن يتم إلا من خلال تغيير الطريقة التي يدرك بها الناس الطبيعة ويتفاعلون معها، في إطار عملية تتطور داخل الشخص ثم تعبر عن نفسها في العالم، وهذا لا يكون إلا بإعادة ربط الإنسان بالسماء (الله).

حسب "سيد نصر"، يرى أن حل الأزمة البيئية لا يمكن تحقيقه إلا من خلال علاج الحالة الروحيّة للإنسان المعاصر وإعادة اكتشاف الصفة المقدسة للعالم التي منحها الله بسخاء للبشر. "فالإنسانية التي

تحتويها العقلانية العلميّة عند "سيد حسين نصر" هي إنسانية زائفة، لأنها ترفض البحث والنظر في الأسباب الحقيقة التي كانت وراء الأزمة البيئية الراهنة، وحاولت قطع السبل التي يجد فيها الإنسان الغربي منبع روحانيته التي سوف تعين على إنقاذه من جائحة الأزمة، فالمنظور العلمي يقطع عن الإنسان جذور روحانيته، فيرى الطبيعة عارية بلا قداسة بعد أن كانت مقدسة عبر ملايين السنين، هذا المنظور يحطم الحقيقة الروحية للعالم ويدمر مركزية الإنسان في منظومة الكون وطريقه إلى عالم الروح"**(نصر، س، 2019، ص12)**.

"سيد حسين نصر" يرى الإنسان الذي يعمل على نشر الخراب في الطبيعة ويقوم باغتصابها بوحشية تلبية لغرائزه الشهوانية والاستهلاكية يعمل على تدمير نفسه وخراب وجوده في النهاية، متوهما انه يعيش انتصارات كبرى على الطبيعة، لكن في الحقيقة ما هي إلا هزائم لطبيعته العلوية بفعل نرجسيته وعناصر شهوته الوحشية، أما من تعطشت نفسه إلى الحقيقة وأنعم الله عليه بقوة التأمل، فغايته مصادقة الطبيعة لا هزيمتها، وذلك من أجل:

_ "استشفاف فائدة روحية من الطبيعة.

_ الوصول إلى كمال الإنسان الروحي.

_ تتوحد صلاة الإنسان الروحي بصلاة الطبيعة البكر.

_ رؤية العمليات الروحية والمبادئ الروحية التي تحكم الإنسان"**(نصر، س، 2019، ص 305)**.

وعليه فإنّ "سيد حسين نصر"، يتبنى الإيمان بأن التصوف ليس مجرد نظريّة فلسفيّة بل هو علاج شامل للأزمات الروحيّة التي يواجهها الإنسان في حياته. ويؤمن بأن فهم الأبعاد العميقة للتصوف وتطبيقها في الحياة اليوميّة يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحقيق التوازن والسلام الداخلي، وبالتالي يسهم في تحسين جودة الحياة والعلاقات الإنسانيّة.

6- خاتمة:

من خلال عرضنا لما سبق، فيما يخص الرؤية الصوفية عند "سيد حسين"، ووقوفنا عند التجربة الروحيّة وملامح الفكر الصوفي عنده، يمكننا أن نجمل نتائج الدراسة في عدة نقاط:

√ تعدد المشارب الصوفية (أكاديميا وواقعيا) عند "سيد حسين نصر" جعلته يبنى رؤية قوية وكلية وشاملة عن التصوف.

√ جعل "سيد حسين نصر" التصوف محورا أساسيا لفكره ورؤيته الكونية والفلسفية، وقد ربطه بالباطن، بحيث يرى أن علم الباطن هو أسمى العلوم وأساس الفكرة الصوفيّة الإسلاميّة، والتصوف في نظره هو جزء لا يتجزأ من الإسلام.

√يدعوا "سيد حسين نصر" إلى استعادة المركزيّة من الإنسان وإعادتها للسماء، وبعث رؤية جديدة للعالم مبنية على قيم روحية وعرفانية أساسها الأول والأخير هو التصوف.

√يؤكد سيد حسين نصر على الدور المهم للتصوف في حل الأزمة البيئية، بحيث يعتقد أن الأزمة البيئية هي أزمة روحية خالصة، والحل الذي يمكن أن يكون أكثر فاعلية يكمن داخل الجوهر الروحي للدين، ألا وهو التصوف.

"سيد حسين نصر" يتحدث عن التصوف في صورته الكبرى، ويربطها بإعادة فهم التراث كشكل وجودي مؤثر في معظم التركيبات الخطابية التي تعيشها الساحة الثقافية العربية والغربية، وهو بحث ينطلق من روح الفكر الوجودي منطلقا من أسئلة موجهة للأطراف المتصادمة في هذه الحلبة، من أجل الخروج بحل عملي ونهائي، تعود فيه الروح إلى مكانها الأصلي، وفي ظل طغيان المادية وفقدان المعرفة لأصولها الأولى وظهور عدة فواصل معرفية وحواجز دوغمائية معاصرة منعت على الإنسان العودة إلى ذاته الأولى، تحت حجة الانبهار والغرق في بحر اللذات المتزايدة، انطلقت عدة تساؤلات حول كيفية العودة إلى المنبع الأول والذي يحتوي على الأوليفيرا الخالدة، هنا يقف "سيد حسين نصر" على إعادة بعث رؤية تراثية تقليدية مبنية على المعرفة العرفانية، ومن أجل هذه المهمة المعقدة عمل "سيد حسين نصر" على تعرية الحداثة الغربية محاولا إبراز عيوبها وثغراتها، من خلال تقديم بديل وجودي وحضاري واسع ومتجذر في تاريخ الوجود البشري، متجاوزًا النسق المادي الحديث.

فقد حاول بناء خطابه بالعودة إلى الروح العرفانية الموجودة داخل الأسس التراثية للدين الإسلامي، محاولا الاعتماد على مرتكزات منهجية مقارنة تقوم على الحوار مع روح الآخر عبر التاريخ الإنساني، هذه الرؤية التي تحاول النهوض بالإنسان المعاصر الذي يتخبط داخل أزمات متعددة ومختلفة، هذا الإنسان الذي أصابه النسيان وأنزل وعيه من السماء وربطه بالأرض فقط، فأصبحت الرؤية أحادية خالية من معاني الوجود الحقيقية، يسود أعماقها خواء ذاتي مليء بأوهام الأرض ولذاتها. فالسيد حسين نصر أراد أن يعيد الوعي الأول للإنسان كي تتحقق إنسانيته الحقة التي تنبني على القيم الأخلاقية والروحية.

**

7- المصادروالمراجع:

قائمة المصادر:

أولا: المصادرباللغة العربية:

- نصر، سيد حسين. (1971)، *ثلاثة حكماء مسلمين*، بيروت، لبنان: دار النهار للنشر.
- نصر، سيد حسين. (2009)، *قلب الإسلام قيم خالدة من أجل الإنسانية*. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- نصر، سيد حسين. (2017)، *الحاجة إلى علم مقدس*. القاهرة، مصر: دار نيوبوك.
- نصر، سيد حسين. (2019)، *الإسلام ووعثاء الإنسان الغربي المعاصر*، القاهرة، مصر: دار آفاق للنشر والتوزيع.
- نصر، سيد حسين. (2019)، *الإنسان والطبيعة*. القاهرة، مصر: دار آفاق.
- نصر، سيد حسين. (2019)، *الفكر والحياة الإسلامية. القاهرة*، مصر: دار آفاق.

ثانيا: المصادر باللغة الأجنبية:

- نصر، سيد حسين. (2016)، *زندكي نامة خود نوشت سيد حسين نصر*. ويراست أول، تابستان: انتشارات باشكاه انديشه.
- Nasr , Seyyed Hossein. (2009 :8 june), *Traditionalism, Islamic Esotericism and Environmental Ethics, Anne Marieke Schwencke, ba thesis religious studies_world 's religion*: institute of religious studies_ leiden university leiden, the ntherlands.
- Nasr, seyyed hossein,(1996), *religion and the order of nature*, new york, oxford university press.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع بالغة العربية:

الكتب:

- الطوسي، أبو نصر السراج. (1960)، *اللمع*. مصر: دار الكتب الحديثة.
- ظهير، إحسان الهي. (1986)، *التصوف المنشأ والمصدر*. باكستان: إدارة ترجمان السنة.
- عون، فيصل بدير. (1983)، *التصوف الإسلامي الطريق والرجال*. القاهرة، مصر: مكتبة سعيد رأفت.
- الكحلاوي، محمد . (2008)، *مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، أضواء على علاقة التصوف الإسلامي، بالمسيحية واليهودية، الفلسفة اليونانية، الثقافة الفارسية، والعقائد الهندية*. بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- محمدي، مجدي. (2010)، *اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران*. بيروت، لبنان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- موران، ادغار . (2012)، *هل نسير إلى الهاوية؟*. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.

المقالات:

- عكاش، منير ، ونصر، سيد حسين. (2009: الخريف)، الأسس والأهداف المشتركة للأديان (مقابلة مع سيد حسين نصر). *مجلة أديان*، العدد صفر.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

- توحيدنيا، فرشاد، وآخ. (2018)، احياء واقعيت قدسي طبيعت راه حل بحران زيست محيطي (نقد وبررسي ديدكاه فلسفي سيد حسين نصر، *فصلنامه علمى بروهش هاى فلسفى*، تابستان، سال 13، شماره 27.
- c.chittick, William. (2007), the essential seyyed hossein nasr, world wisdom,inc.